دور حروف العطف

فى استنباط الأحكام من مصادرها الشرعية

للدكتور دياب سليم محمد عمر (*)

مقـــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على من أنزل عليه القرآن بلسان عربى مبين سيدنا ومولانا محمد الصادق الامين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان وسار على نهجهم الى يوم الدين ..... وبعـــد .

فانى لما كنت قد عقدت العزم أن أكتب بحثا فى أصول الفقه ، استخرت الله ـ سبحانه وتعالى ـ فهدانى ـ جل علاه ـ أن أكتب فى : « حـــروف العطف » . ولما كانت هذه الحروف تدخل فى علم أصول الفقه تحت موضوع « حروف المعانى » فانه ينبغى علينا بادىء ذى بدء وقبل الخوض والغوص فى : « حروف العطف » أن نبين معنى الحرف ، وموقع حروف المعانى مـن علم أصول الفقه ، وحاجة علم الاصول لهذه الحروف ، وسبب تسميتها بـ « حروف المعانى » . فأقول وبالله التوفيق :

أولا : معنى الحرف :

للحرف معنى فى اللغة وآخر فى الاصطلاح . فمعنـــاه فى **اللغة** : الطرف ، فالحرف من كل شىء طرفه ، وشفيره ، وحده ، وواحد حـــروف التهجى (١) . وهو الوجه الواحد ، ومن ذلك قول الله تعالى : « ومن الناس من يعبد الله على حرف » (٢) . أى على وجه واحد ، فان وجد ما يحبـــه استقر والا انشمر ، قيل : كان الرجل يقدم المدينة فان ولدت امرأته غلاما

(*) مدرس أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون .

(١) انظر : مختار الصحاح ص ١٣١ ، ترتيب القـــاموس المحيط حـ ١ ص ٨٥ .

(٢) الآية رقم ١١ من سورة الحج .

نتجت خيله ، قال : هذا دين صالح . وان لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال : هذا دين سوء (٣) .

معنى الحرف فى الاصطلاح : لو نظرنا الى الحرف نجد أنه قسم من أقسام الكلام العربى ، وأقسام الكلام العربى .

هى : الاسم والفعل والحرف .

١ ــ فالاسم : ما دل على معنى فى نفسه غير مقترن بأحد الازمنة الثلاثة (الماضى والمضارع والامر) .

٢ ــ والفعل : ما دل على معنى فى نفسه مقترن بأحد الازمنة الثلاثة (٤) .

٣ ــ أما الحرف : فهو ما دل على معنى فى غيره (٥) ، أى أن الحرف لا يستقل بالمفهومية ، أى بمفهومية المعنى منه . فهو يدل على معنى فى غيره ، أى لا فى نفسه ، والضمير فى « غيره » اما عائد الى اللفظ بمعنى انه لا يدل بنفسه بل بانضمام لفظ آخر اليه ، واما أن يعود الضمير الى المعنى بمعنى أنه غير تام فى نفسه ، أى لا يحصل من اللفظ الا بانضمام شىء آخر اليه ، فصار الحاصل أنه لا يستقل بالمفهومية ، أى بمفهومية المعنى منه (٦) .

يقول امام الحرمين (٧) : « والحروف صلات بين الاسماء

---

(٣) انظر : تفسير ابن كثير حـ ٣ ص ٢٠٩ .

(٤) انظر : الحدود فى النحو للكرمانى ص٣٨ ، التعريفات للجرجانى ص ١٩ ، ١٤٧ الاحكام للآمدى جـ١ ص٢١ ، ٨٣ .

(٥) انظر : الحدود فى النحو للرمانى ص ٣٨ ، التعريفات للجرجانى ص ٧٦ ، الاحكام للآمدى جـ١ ص ٨٥ ، حاشية السيد الجرجانى على شرح العضد حـ١ ص ١٨٥ .

(٦) انظر : حاشية الجرجانى على شرح العضد حـ ١ ص ١٨٥ .

(٧) هو : أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى الملقب بامام الحرمين . من كبار علماء الشافعية ، ولد فى جوين من نواحى نيسابور (٤١٩هـ) وتوفى سنة (٤٧٨هـ) من مؤلفاته « البرهان » فى أصول الفقه .

انظر : الوفيات حـ ١ ص ٢٨٧ ، طبقات الشافعية ص ٦١ .

والافعال » (٨) .

ثانيا : موقع حروف المعانى من علم أصول الفقه :

بالنظر الى ألفاظ اللغة العربية نجد فيها الحقيقة والمجاز . فالحقيقة : اسم لما أريد به ما وضع له ، فعيلة من حق الشىء اذا ثبت بمعنى فاعلة أى حقيق ، والتاء فيه للنقل من الوصفية الى الاسمية كما فى العلامة لا للتأنيث ، وفى الاصطلاح : هى الكلمة المستعملة فيما وضعت له فى اصطلاح به التخاطب (٩) . فاطلاق لفظ الاسد على الحيوان المفترس حقيقة ، لانه استعمل فى المعنى الاصلى الموضوع له لفظ الاسد .

والمجاز : اسم لما أريد به غير ما وضع له لمناسبة بينهما ، وهو مفعل بمعنى فاعل من جاز اذا تعدى كالمولى بمعنى الوالى سمى به لانه متعد من الحقيقة الى المجاز (١٠) . وذلك كاطلاق لفظ أسد على الرجل الشجاع فانه مجاز ، لانه استعمل فى غير معناه الاصلى للعلاقة بين الاسد والرجل الشجاع وهى : الجرأة .

والمجاز كما يتحقق فى الاسماء والافعال يتحقق كذلك فى الحروف ، فانها تنقسم الى حقيقة ومجاز ، فمن الحروف ما يستعمل فى معناه الاصلى الموضوع له فيكون حقيقة ، وقد يستعمل الحرف فى غير ما وضع له ، أى بمعنى حرف آخر فيكون مجازا فمثلا الحرف « فى » ان كان بمعنى الظرفية يكون الاستعمال حقيقة ، وذلك مثل قوله تعالى : « أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » (١١) وان كان بمعنى « على » يكون الاستعمال مجازا ، وذلك مثل قوله تعالى : « ولاصلبنكم فى جذوع النخل » (١٢) .

---

(٨) انظر : البرهان لامام الحرمين حـ ١ ص ١٧٩ فقرة ٨٩ . وفى المخصص لابن سيده حـ ١٤ ص ٤٥ حروف المعانى : هى الحروف التى تربط الاسماء بالافعال والاسماء بالاسماء .

(٩) انظر : التعريفات للجرجانى ص٧٩ ــ ٨٠ ، الاحكام للآمدى حـ ١ ص ٣٦ .

(١٠) انظر : التعريفات ص١٧٨ ، الاحكام للآمدى جـ١ ص٤٧ .

(١١) الآية رقم ٨١ من سورة البقرة .

(١٢) الآية رقم ٧١ من سورة طه .

كل هذا يقتضى من المستنبط للاحكام الشرعية والمستدل عليها أن يعرف المعانى الحقيقية التى وضعت للحروف ، وكذلك المعانى المجازيه ، لان كثيرا من مسائل الفقه تترتب على ذلك • ولذلك رأينا بعض الاصوليين يذكرون حروف المعانى ونحوها بعد الحقيقة والمجاز ، لانها — وكما قلنا — تارة تستعمل فيما وضعت له فتكون حقيقة وتارة تستعمل فى غيره فتكون مجازا وبعض مسائل الفقه مبنى عليها (١٣) •

ثالثا : حاجة علم الاصول لهذه الحروف :

لو نظرنا الى الحروف نجد أنها من مباحث علم النحو ، ولكن جرت عادة الاصوليين أن يبحثوا عن بعض أحوال الحروف تتميما للفائدة للاحتياج اليها فى بعض المسائل الفقهية (١٤) • فالاصوليون دققوا فى فهم أشياء من كلام العرب لم يصل اليها النحاة ولا اللغويون ، فان كلام العرب متسع جدا والنظر فيه متشعب • فكتب اللغة تضبط الالفاظ ومعانيها الظاهرة دون المعانى الدقيقة التى تحتاج الى نظر الاصولى واستقراء زائد على استقراء اللغوى •

ومن أمثلة ذلك : دلالة صيغة (افعل) على الوجوب و (لا تفعل) على التحريم ، وكون كل وأخواتها للعموم ، وما أشبه ذلك لو فتشنا فى كتب اللغة لم نجد فيها شفاء لذلك ولا تعرضا لما ذكره الاصوليون ، وكذلك كتب النحو لو طلبت معنى الاستثناء ، وأن الاخراج هل هو قبل الحكم أو بعد الحكم ونحو ذلك من الدقائق التى تعرض لها الاصوليون وأخذوها باستقراء خاص من كلام العرب ، وأدلة خاصة لا تقتضيها صناعة النحو ، فهذا ونحوه مما تكفل به أصول الفقه • حقيقة لا ينكر أحد أن لأصول

---

(١٣) انظر : المعتمد لابى الحسين البصرى حـ ١ ص ٣١ ، التلويح للتفتازانى حـ ١ ص ٩٨ ، كشف الاسرار للنسفى ونور الانوار عليه حـ ١ ص ١٨٩ ، التقرير والتحبير جـ٢ ص ٣٩ ، تسهيل الوصول للمحلاوى ص٩٥ .

(١٤) انظر : التنقيح لصدر الشريعة والتلويح للتفتازانى حـ ١ ص ٩٨ ، شرح الجلال المحلى على جمع الجوامع حـ ١ ص ٣٣٥ ، التقرير والتحبير حـ ٢ ص ٣٩ ، تيسير التحرير حـ ٢ ص ٦٣ .

الفقه استمدا من علمى اللغة والنحو ، ولكن تلك الاشياء التى استمدها منهما ومن غيرهما لم تذكر فيه بالذات بل بالعرض (١٥) •

ولو رجعنا الى حاجة علم أصول الفقه لحروف المعانى نجد أن حروف المعانى من الاهمية بمكان لاصول الفقه ، لان أكثر الكلام العربى يتوقف معرفة معناه ، ثم الاستفادة منه على معرفة معانى الحروف والادوات التى تربط بين الاسماء والافعال • وبالمثال يتضح المقال :

يقول الله — سبحانه وتعالى : « وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين • جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزى الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » (١٦) •

ويقول رسولنا محمد — صلى الله عليه وسلم — فيما رواه عنه أبو هريرة — رضى الله عنه : « لن ينجى أحدا منكم عمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمته ، فسددوا وقاربوا واغدوا وروحوا ، وشىء من الدلجة ، والقصد القصد تبلغوا » •

وفى رواية السيدة عائشة — رضى الله عنها : « سددوا وقاربوا ، واعلموا أنه لن يدخل أحدكم بعمله الجنة ، وان أحب الاعمال أدومها الى الله وان قل » وفى رواية لها أخرى : « سددوا وقاربوا وأبشروا فانه لا يدخل أحد الجنة بعمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا الا أن يتغمدنى الله بمغفرة ورحمة » (١٧) •

---

(١٥) انظر : الابهاج فى شرح المنهاج للسبكى وابنه حـ ١ ص ٧ — ٨ تحقيق د . شعبان محمد اسماعيل .

(١٦) الآيات أرقام ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ من سورة النحل .

(١٧) انظر : صحيح البخارى حـ ٨ ص ٨٣ كتاب الرقاق ط الفجالة الجديدة ١٣٧٦ هـ .

لو نظرنا الى ظاهر هذين النصين — القرآن والسنة — لوجدناهما متعارضين ، فالنص القرآني ظاهره أن المؤمن يدخل الجنة بعمله ، والسنة ظاهرها أنه لن يدخل أحد الجنة بعمله وانما بفضل الله حتى أكرم الخلق سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم .

ولازالة هذا التعارض والتوفيق بين هذين النصين أقول : ان « الباء » في الآية الكريمة للمقابلة (١٨) ، وليست للسببية . فالله سبحانه وتعالى يقابلنا على الطاعات القليلة اليسيرة بالخير والنعيم الكثير في جنة عرضها السموات والارض ، ونعيم الجنة لا ينتهي فليس له حدود وعلى ذلك فدخولنا الجنة ، لا يكون بسبب أعمالنا وانما بفضل الله ورحمته . أما « البـاء » في الحديث الشريف فهي للسببية ، وعلى ذلك فمعناها : لا يدخل أحد الجنة الا بفضل الله ورحمته وليس بسبب عمله . ومن أمثلة باء السببية قوله تعالى : « فكلا أخذنا بذنبه » (١٩) وقوله : « فأخـذهم الله بذنوبهم » (٢٠) وقوله أيضا : « فأهلكناهم بذنوبهم » (٢١) فمعنى ذلك كله بسبب (٢٢) .

وعلى ذلك فحروف المعاني تشتد الحاجة اليها ، لان كثيرا من مسائل الفقه ينبني عليها ، ولذلك يقول السيوطي (٢٣) في كتابه الاتقان في علوم القرآن : « اعلم أن معرفة ذلك — حروف المعاني — من المهمات المطلوبة

---

(١٨) انظر : رصف المباني للمالقي ص١٤٦ .
(١٩) الآية رقم ٤٠ من سورة العنكبوت .
(٢٠) الآية رقم ١١ من سورة آل عمران .
(٢١) الآية رقم ٥٢ من سورة الانفال .
(٢٢) انظر : رصف المباني للمالقي ص١٤٤ .
(٢٣) السيوطي : هو : الحافظ جلال الدين ابو الفضل عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد السيوطي . الشافعي . له مؤلفات نافت عدتها على خمسمائة مؤلف ، توفي سنة (٩١١ هـ) .
انظر : شذرات الذهب حـ ٢ ص ٥١ — ٥٢ ، الفتح المبين حـ ٢ ص ٥٠ — ٦٦ .

لاختلاف مواقعها ، ولهذا يختلف الكلام والاستنباط ، كما في قوله تعالى : « وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » (٢٤) . فاستعملت « على » في جانب الحق و « في » في جانب الضلال ، لان صاحب الحق مستعل يصرف نظره كيف شاء وصـاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام فينخفض لا يدري أن يتوجه (٢٥) .

وفي شرح الكوكبية : « وحروف المعاني تشتد الحاجة اليها وينبني كثير من مسائل الفقه عليها » (٢٦) .

ويقول عبد العزيز البخاري (٢٧) في كتابه كشف الاسرار على أصول البزدوي (٢٨) مشيرا الى حروف المعاني : « هذا باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ . كثير الفوائد ، جم المحاسن . جمع فيه بين لطائف النحو ، ودقائق الفقه ، واستودع فيه غرائب المعاني وبدائع المباني » (٢٩) .

رابعا : سبب تسميتها بـ "حروف المعاني" :

سميت بحروف المعاني ، لانها توصل معاني الافعال الى الاسماء ،

---

(٢٤) الآية رقم ٢٤ من سورة سبأ .
(٢٥) انظر : الاتقان في علوم القرآن للسيوطي حـ ١ ص ١٤٥ .
(٢٦) انظر : شرح الكوكبية جـ١ ص ٣٢٢ .
(٢٧) البخاري هو : عبد العزيز أحمد بن محمد علاء الدين البخاري . من فقهاء الحنفية . من مصنفاته : « كشف الاسرار على أصول البزدوي » .
انظر : الفوائد البهية ص ٦٤ ، طبقات الاصوليين حـ ١ ص ١٤١ ، الاعلام حـ ٢ ص ٥٢٤ .
(٢٨) البزدوي هو : علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم بن موسى . الفقيه الحنفي . الاصولي . المكنى بأبي الحسين . الملقب بفخر الاسـلام البزدوي نسبة الى بزدة ببلاد ما وراء النهر . من مؤلفاته : « كنز الوصول الى علم الاصول » توفي — رحمه الله — سنة (٤٨٢ هـ) .
انظر : الفتح المبين حـ ١ ص ٢٦٣ ، الاعلام حـ ٥ ص ١٤٨ .
(٢٩) انظر : كشف الاسرار للبخاري على أصول البزدوي حـ ٢ ص ١٠٩

اذ لو لم يكن « من » و « الى » فى قولنا : خرجنا من القاهرة الى طنطا لم يفهم ابتداء الخروج وانتهاؤه ، فالحروف على ضربين : حروف مبانى وحروف معانى . أما حروف المعانى فهى ما ذكرنا من أنها توصل معانى الافعال الى الاسماء ، أى ما وضعت لمعان غير مستقلة ، فهى لا تستقل بالمعقولية ولا تكون ركنا فى الكلام الا مع ضميمة ، فلا تعقل استقلالا ولا تلاحظ الا تبعا . وحروف المبانى : ما كانت من بنية الكلمة ، أى موضوعة لغرض التركيب لا للمعنى ، وتسمى حروف التهجى ، أى التعدد من هجى الحروف اذا عددها ، وهذه الحروف تبدأ « بالالف » وتنتهى بالياء (٣٠) وذلك كحرف « الباء » فى بكر وبشر . بخلاف حرف « الباء » فى قوله تعالى « وامسحوا برءوسكم » (٣١) فانها حرف معنى ، اذ معناها : الالصاق .

بعد القاء الضوء على « حروف المعانى » بصفة عامة سأتناول - بعون الله تعالى - « حروف العطف » بصفة خاصة وهى مجال بحثنا .

---

(٣٠) انظر : كشف الاسرار للنسفى ونور الانوار على المنار للشيخ ملاجيون وقمر الاقمار على على نور الانوار للشيخ اللكنوى جـ١ ص١٨٩-١٩٠ والتلويح للتفتازانى جـ١ ص ٩٩ ، كشف الاسرار للبخارى على اصول البزدوى جـ ٢ ص ١٠٩ ، فواتح الرحموت على مسلم الثبوت جـ ١ ص ٢٢٩

(٣١) الآية رقم ٦ من سورة المائدة .

فى معنى العطف وأقسامه

العطف فى اللغة : الميل والثنى والرد واللوى والتكبر معرضا (١) ، يقال : عطف الوسادة ، أى ثناها . ويقول اللـه سبحانه وتعالى : « ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله » (٢) . أى معرضا عن الحق لاويا عنقه كفرا ، أى مستكبرا عن الحق اذا دعى اليه (٣) .

وثنى العطف : عبارة عن الكبر والخيلاء فهو كتصعير الخد (٤) . ومن ذلك قوله - سبحانه وتعالى : « ولا تصعر خدك للناس » (٥) . أى لا تتكبر فتحتقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك (٦) .

وفى الاصطلاح : تابع يدل على معنى مقصود بالنسبة مع متبوعه يتوسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف العشرة ، مثل : قام زيد وعمرو . فعمرو تابع مقصود بنسبة القيام اليه مع زيد .

والتوابع : هى الجارية على اعراب الاول . وهى خمسة : التأكيد والصفة ، وعطف البيان والبدل والنسق (٧) .

---

(١) انظر : مختار الصحاح ص ٤٤٠ ، ترتيب القاموس حـ ٣ ص ٢٥٣ - ٢٥٥ .

(٢) الآية رقم ٩ من سورة الحج .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير حـ ٣ ص ٢٠٨ - ٢٠٩ ، صفوة التفاسير للصابونى حـ ٩ ص ٨٧٨ .

(٤) انظر : الكشاف للزمخشرى حـ ٣ ص ١٤٤ .

(٥) الآية رقم ١٨ من سورة لقمان .

(٦) انظر : تفسير ابن كثير حـ ٣ ص ٤٤٦ .

(٧) النسق : ما جاء من الكلام على نظم واحد ، والنسق بالتسكين : مصدر نسق الكلام اذا عطف بعضه على بعض والتنسيق : التنظيم . انظر : مختار الصحاح ص ٦٥٧ .

أقسـام العطف : ينقسم العطف الى قسمين :

١ ــ عطف البيان : هو تابع غير صفة يوضح متبوعه ، مثل أقسم بالله أبو حفص عمر ، فعمر تابع غير صفة يوضح متبوعه (٨) .

٢ ــ عطف النسق : هو تابع يتوسط بينه وبين متبوعه ، أحد حروف العطف .

وهذا العطف هو المقصود ، أما القسم الاول ــ عطف البيان ــ فليس بمقصود فى باب حروف العطف .

معنى العطف فى الكلام : ان معنى العطف فى الكلام : هو رد أحد المفردين الى الاخر فى الحكم الذى ثبت له . ومثال ذلك : نجح محمد ومحمود . أورد احدى الجملتين الى الاخرى فى الحصول ، ومثال ذلك : حضر محمد وسافر على .

فائدة العطف : وفائدة العطف : الاختصار واثبات الشركة (٩) .

تنبيه : ومما يجدر التنبيه اليه أننى لن أتكلم عن حروف العطف جميعها ، بل سأتناول منها ما يهم الفقه فقط .

ولذا فسأتناول ــ بعون الله تعالى ــ الحروف الاتية :

١ ــ الواو ٢ ــ الفاء ٣ ــ ثم ٤ ــ بل ٥ ــ لكن ٦ ــ أو ٧ ــ حتى عاقدا لكل حرف من هذه الحروف السبعة مبحثا (١٠) خاصا .

---

(٨) انظر : التعريفات للجرجانى ص ١٣١ .

(٩) انظر : كشف الاسرار للبخارى على أصول البزدوى حـ ٢ ص ١٠٩ .

(١٠) المبحث : مصدر ميمى ، وهو اسم مكان البحث . والبحث : اثبات المحمولات للموضوعات ، فالمعنى محل يثبت فيه أحوال الحروف مثلا وتحمل عليها . يقول الشيخ عبد الرحمن الشربينى :

البحث : هو التفتيش ، فاللائق تفسيره به ، فالمبحث موضع التفتيش عن عوارض الشىء ، ثم تحمل عليه بالدليل أو التنبيه .

انظر : ترتيب القاموس حـ ١ ص ٢١٨ ، حاشية العطار حـ ١ ص ٣٩٦ ، حاشية البنانى حـ ١ ص ٣٣٥ ، وتقرير الشيخ الشربينى حـ ١ ص ٣٣٥ .

المبحث الاول

فى معنى " الواو (١) "

وفيه خمسة مطالب : ــ فى آراء العلمـاء فى معنى الواو ــ فى أدلة ما ذهب اليه كل فريق ــ فى المواضع التى تنفرد فيها الواو عن بقية حروف العطف ــ فى المعانى الاخرى للواو ــ فى الاثار الفقهية المترتبة على معانى الواو .

المطلب الأول

فى آراء العلماء فى معنى (الواو)

للعلماء فى معنى الواو ثلاثة آراء . اليك بيانها : ــ

الرأى الأول : يقول أصحاب هذا الرأى : ان الواو لمطلق العطف ، أى الجمع من غير تعرض لمقارنة ولا ترتيب (٢) . ومعنى مطلق الجمع : أى أن

---

(١) بدأت بحرف الواو دون بقية حروف العطف الاخرى ، لان الواو كالبسيطة بالنسبة اليها ، فان معناها أصل كالجزء من معانى سائر الحروف العاطفة ، فالواو تدل على المشاركة فقط ، أما سائر الحروف العاطفة فانها تدل على المشاركة مع زيادة كالترتيب وغيره . فالواو كالمفرد وغيره كالمركب والمفرد أصل ، وهذا كالانسان أو الثمر فانه اسم مطلق ، ثم يتنوع أنواعا ولكل نوع اسم خاص .

انظر : قمر الاقمار على نور الانوار شرح المنار حـ ١ ص ١٩٠ ــ ١٩١ . ويقول المالقى فى رصف المبانى ص ٤١٠ : انها أم حروف العطف .

(٢) انظر : متن أصول المنار بحاشية نسمات الاسحار ص ٨٢ ، متن المنار بشرح كشف الاسرار للنسفى حـ ١ ص ١٩٠ ، فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت حـ ١ ص ٢٢٩ وجمع الجوامع بحاشية البنانى حـ ١ ص ٣٦٥ حيث عبر بقوله : « الواو لمطلق الجمع » وقال الشارح الجلال المحلى : وعدل عن قول ابن الحاجب وغيره للجمع المطلق ــ مختصر المنتهى حـ ١ ص ١٨٩ ــ قال لايهامه الجمع بالاطلاق والغرض نفى التقييد . =

الواو لمطلق الشركة بين المعطوف عليه والمعطوف (٣) . وقد عبر جلال الدين المحلى (٤) شارح (٥) جمع الجوامع بقوله : « بين المعطوفين في الحكم » (٦) . وقد غلب فى التثنية المعطوف لانه أخصر ، والا فالمعطوف عليه هو الأصل غالبا ، والتقييد بالغالب للاحتراز من عطف الاشرف على غيره كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة (٧) ، وعطف أولى العزم على غيرهم فى قوله تعالى : « واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا » (٨، ٩) .

وممن قال بهذا الرأى عامة أهل اللغة والنحاة ومنهم سيبويه (١٠) .

= يقول البنانى : وهذا الايهام أخذه المصنف من ابن هشام وعزاه الشارح اليه كالمتبرىء منه اشارة الى أن مؤدى العبارتين واحد ، لان المطلق هنا ليس للتقييد بعدم القيد ، بل لبيان الاطلاق ، كما يقال : الماهية من حيث هى ، والماهية لا بشرط ، وسبب توهم الفرق بينهما : الفرق بين الماء المطلق ومطلق الماء مع الغفلة عن كون ذلك اصطلاحا شرعيا وما نحن فيه اصطلاح لغوى .

انظر : حاشية البنانى حـ ١ ص ٣٦٦ والمغنى بحاشية الامير حـ ٢ ص ٢١ .

(٣) انظر : شرح نور الانوار على المنار حـ ١ ص ١٩٠ .

(٤) الجلال المحلى هو : « جلال الدين » محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم المحلى الشافعى . مفسر . فقيه . متكلم ، أصولى — نحوى . ولد بالقاهرة سنة (٧٩١ هـ) وتوفى بها سنة (٨٦٤ هـ) من تصانيفه : « شرح جمع الجوامع » .

انظر : شذرات الذهب حـ ٧ ص ٣٠٣ ، بدائع الزهور حـ ٢ ص ٦٢ .

(٥) انظر : شرح الجلال المحلى بحاشية البنانى حـ ١ ص ٣٦٥ .

(٦) المراد بالحكم : المحكوم به . حاشية البنانى حـ ١ ص ٣٦٥ .

(٧) وذلك كما فى قوله تعالى : « من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين » آية رقم ٩٨ من سورة البقرة .

(٨) الآية رقم ٧ من سورة الاحزاب .

(٩) انظر : حاشية البنانى حـ ١ ص ٣٦٥ .

(١٠) سيبويه هو : عمرو بن عثمان بن قنبر فارسى الاصل . امام النحاة وتلميذ الخليل بن أحمد الفراهيدى له : « الكتاب » أشهر مصنف فى النحو . توفى سنة (١٨٠ هـ) .

انظر : البغية جـ ٢ ص ٢٢٩ .

فقد ذكر ذلك فى سبعة عشر موضعا من كتابه (١١) . وقال أبو على الفارسى (١٢) : أجمع نحاة البصرة والكوفة (١٣) ، أن الواو للجمع المطلق ، وممن قال بهذا أيضا جمهور الاصوليين والفقهاء . ومنهم الحنفية (١٤) .

الرأى الثانى : يقول أصحاب هذا الرأى : ان الواو للترتيب (١٥) . وممن قال بهذا الرأى : الفراء (١٦) وقطرب (١٧) وثعلب وبعض

---

(١١) من هذه المواضع حـ ١ ص ١٥٠ ، ٣٢٤ ، ٤٢٤ ، ٤٢٧ .

(١٢) أبو على الفارسى هو : الحسن بن أحمد أستاذ بن جنى ، من مؤلفاته : الحجة . وهو من مدرسة البصريين . توفى سنة (٣٧٧ هـ) .

انظر : بغية الوعاة حـ ١ ص ٤٩٦ .

(١٣) فى اجماع نحاة الكوفة نظر ، حيث قال المالقى فى كتابه : رصف المبانى فى شرح حروف المعانى ص ٤١١ : وعند الكوفيين للترتيب . وقال القراء فى شرح تنقيح الفصول ص ٩٩ : وقال جماعة من الكوفيين : انها للترتيب .

(١٤) انظر : لاحكام للآمدى جـ ١ ص ٧٧ ، كشف لاسرار للنسفى وقمر الاقمار حـ ١ ص ١٩٠ ، ارشاد الفحول الشوكانى ص ٢٨ ، البرهان لامام الحرمين حـ ١ ص ١٨١ فقرة ٩١ ، فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت حـ ١ ص ٢٢٩ ، التلويح للتفتازانى حـ ١ ص ٩٩ ، التقرير والتحبير لابن أمير حاج حـ ٢ ص ٣٩ وحاشية نسمات الاسحار ص ٨٢ ، تسهيل الوصول للمحلاوى ص ٩٥ .

(١٥) معنى الترتيب : تأخر ما بعد الواو عما قبلها فى الزمان . انظر : التلويح حـ ١ ص ٩٩ ، حاشية نسمات الاسحار ص ٨٢ ، قمر الاقمار على نور الانوار شرح المنار حـ ١ ص ١٩٠ .

(١٦) الفراء هو : يحيى بن زياد الديلمى امام العربية المعروف بالفراء ، قيل له الفراء لانه كان يفرى الكلام . والفراء هو صاحب معانى القرآن . توفى سنة (٢٠٧ هـ) .

انظر : شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى جـ ٢ ص ١٩ .

(١٧) قطرب هو : محمد بن المستنير أبو على توفى سنة (٢٠٦ هـ) انظر : وفيات الاعيان جـ ٤ ص ٣١٢ .

الكوفيين (١٨) ، وروى هذا عن الشافعى ، حيث جعل الترتيب ركنا فى الوضوء ، ثم قال : ومن خالف الترتيب الذى ذكره الله لم يجز وضوءه .

وقال امام الحرمين : اشتهر من مذهب الشافعى — رحمه الله — المصير الى أنها للترتيب (١٩) .

وقال صاحب كتاب فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت : « ونقل واشتهر عن الشافعية ونسب الى الشافعى ، لكن الامام فخر الدين الرازى شديد النكير عليه » (٢٠) .

وفى المعتمد ، قال بعض الشافعية : انها — أى الواو — للترتيب (٢١) .

وجاء فى تحقيق المنخول للغزالى (٢٢) : أن فى نسبة القول بأن الواو للترتيب الى الشافعى نظر . فقد قال الاستاذ أبو منصور البغدادى : معاذ الله أن يصح عن الشافعى أنها للترتيب ، وانما هى لمطلق الجمع ، وأما ايجاب الشافعى للترتيب فى الوضوء فليس من الواو بل من جهة أن العبادات كلها مترتبة كالصلاة والحج ، والوضوء منها ، والواو لا تقتضى الترتيب (٢٣) .

---

(١٨) انظر : رصف المبانى فى شرح حروف المعانى للمالقى ص٤١١ ، تنقيح الفصول للقرافى ص٩٩ . يقول صاحب شرح الكافية :
وزعم بعض أهل الكوفة أن الواو للترتيب وليس بمصيب . وأنى الكوفة برآء من هذا القول . لكنه مقول . ج٣ ص١٢٠٦ .

(١٩) انظر : البرهان لامام الحرمين ج١ ص١٨١ فقرة ٩١ .

(٢٠) انظر : فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت ج١ ص٢٢٩ ، وكشف الاسرار للنسفى ج١ ص١٩٠ وارشاد الفحول للشوكانى ص٢٨ وغير ذلك .

(٢١) انظر : المعتمد لابى الحسين البصرى ج١ ص٣٤ .

(٢٢) الغزالى هو : أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسى الشافعى ولدبطوس سنة (٤٥٠هـ) وتوفى بها سنة (٥٠٥هـ) له مصنفات كثيرة منها : « المستصفى » و « احياء علوم الدين » .
انظر : وفيات الاعيان ج٣ ص٣٥٢ ، شذرات الذهب ج٤ ص١٠ ، الاعلام للزركلى ج٧ ص٢٤٧ .

(٢٣) انظر : المنخول للغزالى ص٥٨ ورسالة فى حروف المعانى للباحث ناجى بن محمد ص٦٠ نقلا عن المرجع السابق .

وصاحب مغنى المحتاج (٢٤) يعلل فرضية الترتيب بفعله — صلى الله عليه وسلم المبين للوضوء المأمور به (٢٥) ، ولقوله — صلى الله عليه وسلم — فى حجته : « ابدءوا بما بدأ الله به » (٢٦) . والعبرة بعموم اللفظ ، ولانه تعالى ذكر ممسوحا بين مغسولات وتفريق المتجانس لا ترتكبه العرب الا لفائدة وهى هنا : وجوب الترتيب لا ندبه بقرينة الامر فى الخبر ، ولان الاية بيان للوضوء الواجب .

وقيل : لا يشترط الترتيب بل الشرط فى الوضوء عدم التنكيس حتى لو استعان بأربعة غسلوا أعضاءه دفعة واحدة ونوى صح وضوءه . وعلى الرأى الاول يحصل فى هذه الحالة غسل الوجه فقط .

ونسب الى الامام أبى حنيفة — رحمه الله — أن الواو للترتيب (٢٧) ، وهذه النسبة خاطئة (٢٨) .

---

(٢٤) انظر : مغنى المحتاج للشيخ محمد الشربينى الخطيب على متن المنهاج للشيخ أبى زكريا النووى ج١ ص٥٤ ط مصطفى الحلبى .

وفى أصول الشاشى ص٥٦ : الصحيح من مذهب الشافعى أن الواو لمطلق الجمع .

(٢٥) انظر : صحيح مسلم بشرح النووى ج٣ ص١٠٥ وما بعدها ط حجازى بالقاهرة . عن حمدان مولى عثمان بن عفان ، أنه رأى عثمان توضأ — مرتبا — وقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم — توضأ نحو وضوئى هذا .

(٢٦) انظر : سنن أبى داود ج٢ ص١٨٤ ط مصطفى محمد شرح ومراجعة محى الدين عبد الحميد بعبارة « نبدأ » .

(٢٧) انظر : التلويح ج١ ص٩٩ ، التقرير والتحبير ج٢ ص٤٠ ، مسلم الثبوت وشارحه فواتح الرحموت ج١ ص٢٢٩ ، تسهيل الوصول للمحلاوى ص٩٥ ، شرح المنار وحواشيه ص٤٣٢ .

(٢٨) سأبين — فيما بعد — وجه تخطئة هذه النسبة .

الرأى الثالث : وأصحاب هذا الرأى يقولون : ان الواو للمعية والمقارنة (٢٩) .

ونسب هذا القول للامام مالك — رضى الله عنه — كما نسب خطأ — (٣٠) الى صاحبى أبى حنيفة — أبى يوسف ومحمد — رحمهم الله (٣١) .

---

(٢٩) معنى المعية والمقارنة : اجتماع ما بعد الواو مع ما قبلها فى الزمان .

انظر التلويح جـ١ ص٩٩ ، حاشية نسمات الاسحار ص٨٢ ، شرح المنار وحواشيه ص٤٣٢ .

(٣٠) سأبين — فيما بعد — وجه تخطئة هذه النسبة .

(٣١) انظر : التلويح جـ١ ص٩٩ ، شرح المنار وحواشيه ص٢٢ ، فتح الغفار بشرح المنار جـ٢ ص٦ .

المطلب الثانى

فى أدلة ما ذهب اليه كل فريق

أولا : أدلة الرأى الاول القائل : ان الواو لمطلق العطف :

استدل الرأى الاول على ما ذهب اليه بأدلة عديدة منها :

١ — النقل عن أئمة اللغة ، حتى ذكر أبو على الفارسى (٣٢) ، أن ذلك مجمع عليه ، وقد نص على ذلك سيبويه (٣٣) . فى سبعه عشر موضعا من كتابه (٣٤) ، ونقل اجماع أهل البصرة والكوفة (٣٥) ، على ذلك نقله السيرافى (٣٦) والفارسى . والنقل حجة تثبت بها اللغة (٣٧) .

نوقش هذا الدليل بأن دعوى الاجماع غير مسلمة ، فقد نقل عن جماعة منهم أن الواو للترتيب . ومن ذلك ثعلب وغلامه وقطرب .

الجواب : ويمكن أن يجاب بأن المراد والمقصود من الاجماع هو اجماع الاكثر ، وعدم اعتداد خلاف من خالف لكون الامر جليا غير قابل للنقاش (٣٨) .

٢ — الاستقراء (٣٩) : فلو تتبعنا موارد استعمال الواو فاننا

---

(٣٢) سبقت ترجمته .

(٣٣) سبقت ترجمته .

(٣٤) سبق ذكر بعض هذه المواضع .

(٣٥) سبق أن بينا أن فى اجماع أهل الكوفة نظر .

(٣٦) السيرافى هو : الحسن بن عبد الله أبو سعيد السيرافى . كان المما بالنحو والفقه واللغة والشعر وغير ذلك أقام ببغداد ومات فيها . حياته (٢٧٠ — ٣٦٨هـ) . انظر : بغية الوعاة للسيوطى ص٢٢٢ .

(٣٧) انظر : التقرير والتحبير جـ٢ ص١٤٠ ، فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت جـ١ ص٢٣٠ .

(٣٨) انظر : فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت جـ١ ص٢٣٠ .

(٣٩) الاستقراء : عبارة عن تصفح أمور جزئية لنحكم بحكمها على أمر كلى يشمل تلك الجزئيات .

انظر : المستصفى للغزالى جـ١ ص٥١ .

نجدها مستعملة فى مواضع لا يصح فيها الترتيب ، أو المقارنة ، والاصل الاطلاق الحقيقة ولا دليل على غير مطلق العطف (٤٠) .

ومن أمثلة ذلك : حضر محمد وعلى قبله أو بعده .

وجه الدلالة : أن المقارنة هنا منتفية ، وكذلك الترتيب ، لانه لو كانت موضوعة للترتيب لكان قولنا : قبله تناقضا وهذا باطل ، وقولنا بعده تكرارا والتكرار خلاف الاصل ومن أمثلة ذلك أيضا : اختصم محمد ومحمود ، وتضارب على وسعيد ، واصطف خالد وعبدالله ، وجلست بين مصطفى وابراهيم .

اذ الاختصام والتضارب والاصطفاف والبينية من المعانى التى لا تقوم الا بين اثنين فصاعدا ، وكل ما كان من باب المفاعلة فانه يكون نافيا للترتيب ، حيث انه يقتضى وقوع الشيئين معا (٤١) .

ويرد المعية قول القائل : سيان قيامك وتعودك (٤٢) .

فان قيل : ان الواو للترتيب فى أصل الوضع وههنا استعمل فى الجمع مجازا .

قلنا : المجاز خلاف الاصل فلا يصار اليه الا بدليل يدل على أن الموضوع اليه شىء غيره ، ولا دليل ، فلا يحتمل التجوز ، وعلى ذلك يخرج ما قلناه (٤٣) .

---

(٤٠) انظر : المعتمد جـ١ ص٣٤ ، الاحكام للآمدى جـ١ ص ٨٨ ، التقرير والتحبير جـ٢ ص٤٠ ، فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت جـ١ ص٢٣٠ .

(٤١) انظر : أوضح المسالك لابن هشام ص٢٠٥ ، الاحكام للآمدى جـ١ ص٨٨ ، فواتح الرحموت جـ١ ص٢٣٠ .

(٤٢) انظر : التلويح جـ١ ص٩٩ ، تقرير الشيخ الشربينى جـ١ ص٢٦٥

(٤٣) انظر : المعتمد جـ١ ص٣٤ ، التلويح جـ١ ص٩٩ ، مسلم الثبوت وشرحه المسمى فواتح الرحموت جـ١ ص٢٣٠ .

٣ — أن واو العطف بين الاسمين المختلفين أو الاسماء المختلفة كالالف بين الاسمين المتحدين وواو الجماعة بين الاسماء المتحدة . ومعلوم أن ألف التثنية وواو الجماعة لا يقتضيان ترتيبا ولا مقارنة اجماعا ، فكذا ما هو حار مجراهما (٤٤) . لانهم لما لم يتمكنوا من جمع الاسماء المختلفة بواو الجمع ، استعملوا فيها واو العطف . ولما كان قول القائل : « جاءنى المحمدون » يفيد اشتراكهم فى المجىء ولا يفيد الترتيب ، فكذلك اذا قال القائل : « جاءنى محمد وعلى وخالد » .

قد يقال : ان واو العطف تقوم مقام الجمع فى افادة الاشتراك . وتختص بافادة الترتيب ، وذلك مثل « ثم » و « الفاء » فانهما تجمعان بين الشيئين فى العطف ، وتجريان فى ذلك مجرى واو الجمع ، وتختصان بافادة الترتيب .

الجواب : ويجاب عن هذا : بأن أهل اللغة لو أرادوا أن واو العطف تجرى مجرى واو الجمع فى افادة الاشتراك فقط ، وأفادت الترتيب ، لقالوا أيضا : ان لفظة « ثم » و « الفاء » قد أجريتا مجرى واو الجمع وياء التثنية أيضا ، فلما لم يقولوا ذلك فى « ثم » و « الفاء » وقالوا ذلك فى الواو . علمنا أن واو العطف تقوم مقام واو الجمع فى افادة الجمع فقط (٤٥) .

٤ — لو كانت الواو للترتيب لصح دخولها فى جواب الشرط كالفاء فانها لما كانت للترتيب صحت فى الجزاء . ومن المعلوم أنه لا يحسن أن يقول القائل : ان دخل محمد الدار وعطه درهما (٤٦) .

---

(٤٤) انظر : الاحكام للآمدى جـ١ ص٨٩ — ٩٠ ، المحصول للرازى جـ١ ص٥١٢ تحقيق طه جابر فياض ، التمهيد للاسنوى ص٥٦ .

(٤٥) انظر : المعتمد جـ١ ص٣٤ — ٣٥ .

(٤٦) انظر : المعتمد جـ١ ص٣٥ ، الاحكام للآمدى جـ١ ص٩٠ ، التقرير والتحبير جـ٢ ص ٤١ .

قد يقال : ان هذا منقوض بـ « ثم » فانها للترتيب بالاتفاق ومع ذلك لا يصح دخولها على الجزاء اتفاقا (٤٧) .

الجواب : ويجاب عن هذا بان التراخى فى الواو لم يقل به أحد فلو كان فيه الترتيب فاما بلا مهلة أو مطلقا عن المهلة وعدمها فيلزم أن يصح فى الجزاء ، ولا يكون كـ « ثم » اذ فيه مهلة منافية للجزائية ، وهذا غير واف اذ لا يلزم من كون الحرفين بمعنى كونهما متساويين فى صحة الضم وبارتفاع الاستناد بـ « ثم » لا يرتفع المنع (٤٨) .

٥ ـ أن قولهم : لا تأكل السمك وتشرب اللبن ، معناه : النهى عن الجمع بينهما ، حتى لو شرب اللبن بعد أكل السمك جاز . وتحقيق ذلك ان الفعل تشرب منصوب بأن مضمرة ، فيكون فى معنى مصدر معطوف على مصدر مأخوذ من مضمون الجملة السابقة ، أى لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن .

وجه الدلالة : ووجه الدلالة هنا : أن الواو لو كانت للترتيب لما صح فى هذا المقام كما لا تصح الفاء وثم لافادتهما النهى عن الشرب بعد الأكل لا متقدما ولا مقارنا . ومن هذا القبيل قول الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله ... عار عليك اذا فعلت عظيم (٤٩)

ولا يخفى أن هذا الدليل ينفى الترتيب فقط ولا ينفى المقارنة ، لان المقصود الاهم نفى الترتيب (٥٠) .

٦ ـ أن الجمع من غير ترتيب معقول فلم يكن بد من لفظة تفيده فى اللغة ، ولا توجد لفظة تدل عليه وتفيده غير « الواو » ولا يجوز أن تكون

---

(٤٧) انظر : التقرير والتحبير جـ٢ ص٤١ ، فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت جـ١ ص٢٣٠ .
(٤٨) انظر : مسلم الثبوت وشرحه فواتح الرحموت جـ١ ص٢٣٠ .
(٤٩) قائل هذا البيت أبو الاسود الدؤلى .
(٥٠) انظر : التلويح جـ١ ص ٩٩ .

لفظة « مع » لانها تفيد الاشتراك فى زمان واحد ، والذى يجب أن يكون فى اللغة هو لفظة لا تفيد الا الاشتراك فقط (٥١) .

قد يقال : كما أن الجمع المطلق معقول ولا بد له من حرف يدل عليه ، فالترتيب المطلق أيضا معقول ولا بد له من حرف يدل عليه ، وليس ما يفيده بالاجماع سوى « الواو » فتعين (٥٢) .

الجواب : ويجاب عن هذا . بأن كلمة « بعد » قد وضعت لمطلق الترتيب ، فيلزم التكرر لا محالة . على أن الواو ليست لمطلق الترتيب عند القائل بأن الواو للترتيب ، لانهم يشترطون الولاء فى الوضوء ، ولو كانت الواو لمطلق الترتيب لم يشترط الولاء .

ونقول أيضا : ان الواو لو كانت للترتيب لخلا الكلام عن حرف يدل على مطلق الجمع وهو معنى مقصود وذلك اخلال به (٥٣) .

* * *

ثانيا : أدلة الرأى الثانى القائل : ان الواو للترتيب :

وقد استدل من قال بأن الواو للترتيب بأدلة عديدة ـ أيضا ـ منها :

١ ـ من النقل :

أ ـ قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا » (٥٤) .

وجه الدلالة من هذه الآية : أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ذكر السجود بعد الركوع ، وهذا أمر متعين أن السجود يكون بعد الركوع ،

---

(٥١) انظر : المعتمد جـ١ ص٣٥ ـ ٣٦ ، الاحكام للآمدى جـ١ ص٩٠ ، التقرير والتحبير جـ٢ ص٤١ .
(٥٢) انظر : المعتمد جـ١ ص٣٦ ، الاحكام للآمدى جـ١ ص ٩٢ ، والتقرير والتحبير جـ٢ ص٤١ .
(٥٣) انظر : كشف الاسرار للبخارى على أصول البزدوى جـ٢ ص١١٢ .
(٥٤) الآية رقم ٧٧ من سورة الحج .

فلو لم تكن الواو للترتيب لم يتعين ذلك . وحيث انه تعين فتكون الواو للترتيب حقيقة ، لان الاصل عدم المجاز (٥٥) .

الجواب : ويجاب عن هذا الدليل : بأن الترتيب لم يفهم من هذه الآية الكريمة ، ولكنه فهم وتعين بفعل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث انه رتب فى صلاته الركوع قبل السجود . ثم قال : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » (٥٦) . وبذلك يكون الترتيب ليس مستفادا من هذه الآية ، وانما بالسنة الفعلية والقولية ، ولو كانت الواو للترتيب ـ كما زعم ـ لما احتاج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى هذا البيان (٥٧) . كما أن الواو لو كانت حقيقة فى الترتيب لتناقض قوله تعالى : « وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة » (٥٨) فى آية البقرة ، مع قوله تعالى فى آية الاعراف : « وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا » (٥٩) مع اتحاد القصة ، لان دخول الباب سجدا يكون مقدما على قول « حطة » كما دلت عليه آية البقرة مؤخرا عنه كما دلت عليه آية الاعراف والقصة واحدة فيهما أمرا ومأمورا وزمانا . والتناقض فى كلام الله ـ سبحانه وتعالى ـ محال (٦٠) كما أن هناك آيات فى القرآن الكريم تفيد أن الثانى فى العمل قبل الاول (٦١) من ذلك قوله تعالى : « يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين » (٦٢) . وقوله تعالى أيضا : « يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من

---

(٥٥) انظر : الاحكام للآمدى جـ١ ص٩٣ ، التقرير والتحبير جـ٢ ص٤٢ ، فواتح الرحموت جـ١ ص٢٣١ .

(٥٦) انظر : صحيح البخارى جـ١ ص ١٢٨ ، جـ٨ ص٩٠ .

(٥٧) انظر : الاحكام للآمدى جـ١ ص ٩٤ ، فواتح الرحموت جـ١ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

(٥٨) الآية رقم ٥٨ من سورة البقرة .

(٥٩) الآية رقم ١٦١ من سورة الاعراف .

(٦٠) انظر : الاحكام للآمدى جـ١ ص ٨٩ ، مختصر المنتهى وشرح العضد عليه جـ١ ص١٩١ ، التقرير والتحبير جـ٢ ص٤٠ ، شرح تنقيح الفصول ص٩٩ .

(٦١) انظر : رصف المبانى فى شرح حروف المعانى ص٤١١ .

(٦٢) الآية رقم ٤٣ من سورة آل عمران .

البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ... الآية » (٦٣) .

ولا شك أن المضغة تكون أولا غير مصورة ، ثم بعد ذلك تصور فيخلق الله فيها الرأس واليدين والرجلين .

كما أن الواو لو كانت للترتيب ، لكان الكفار معترفين بالحياة بعد الموت وأنهم سيبعثون فى قوله تعالى حكاية عن كفار العرب : « وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » (٦٤) . وليس الامر كذلك .

فان قيل : ان المراد تموت كبارنا وتولد صغارنا فنحيا ، فلا يلزم الاعتراف بالبعث على القول بالترتيب .

قلنا : ان الظاهر من اللفظ هو القول الاول ، وأن مرادهم : نحيا ونموت ، والواو لا تفيد الترتيب (٦٥) .

كما أن هناك آيات فى القرآن الكريم لا تفيد ترتيبا ، من ذلك قوله ـ سبحانه وتعالى : « فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله » (٦٦) . وقوله : « أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف » (٦٧) . وقوله : « والسارق والسارقة » (٦٨) . وقوله : « الزانية والزانى » (٦٩) . ففى شىء من هذه المواضع لا تفيد الترتيب (٧٠) .

ب ـ قوله تعالى : « ان الصفا والمروة من شعائر الله » (٧١) .

---

(٦٣) الآية رقم ٥ من سورة الحج .

(٦٤) الآية رقم ٢٤ من سورة الجاثية .

(٦٥) انظر : شرح تنقيح الفصول للقرافى ص ٩٩ .

(٦٦) الآية رقم ٩٢ من سورة النساء .

(٦٧) الآية رقم ٣٣ من سورة المائدة .

(٦٨) الآية رقم ٣٨ من سورة المائدة .

(٦٩) الآية رقم ٢ من سورة النور .

(٧٠) انظر : المحصول للرازى جـ١ ص٥١٠ تحقيق طه جابر فياض .

(٧١) الآية رقم ١٥٨ من سورة البقرة .

وجه الدلالة من هذه الاية : أن الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ لما نزلت هذه الاية ، قالوا للنبى ــ صلى الله عليه وسلم : « بم نبدأ ؟ قال « ابدأوا بما بدأ الله به » • ولولا أن الواو للترتيب لما سألوه • ولما قال : « ابدأوا بما بدأ الله به » ولما وجب الترتيب فنبدأ بالصفا ثم المروة اذ لا موجب له غيره (٧٢) •

الجواب : ويجاب عن هذا الدليل : بأنه ليس فيه ما يفيد الترتيب ، بل انه على من قال بالترتيب لا له ، لان الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ من أهل اللسان ، فلو كانت الواو للترتيب لما احتاجوا الى ذلك السؤال ، وحيث انهم سألوا فهذا دليل على أن الواو ليست للترتيب ، وعلى ذلك فالترتيب لم يستفد من الاية وانما استفيد من السنة ، لان الاية ليس فيها ترتيب بالنسبة للشعائر ، بل العطف فيها يضم المعطوف الى المعطوف عليه فى الشعائر ، فسؤال الصحابة انما هو عما لم يفد بلفظه ــ أى الواو ــ بل عما أفيد بغيره ــ أى الواو ــ وهو التطوف بينهما (٧٣) • وأجاب صلى الله عليه وسلم بقوله : « ابدأوا بما بدأ الله به » •

ج ــ ما روى أن واحدا قام بين يدى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خطيبا وقال : « من أطاع الله ورسوله فقد اهتدى ومن عصاهما فقد غوى » • فقال له ــ صلى الله عليه وسلم : « بئس خطيب القوم أنت ، قل ومن عصى الله ورسوله فقد غوى » (٧٤) •

وجه الدلالة : ووجه الدلالة من هذا الحديث : أن الواو لو لم تكن للترتيب لما فرق الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بين العبارتين ، فلو كانت الواو لمطلق الجمع لم يكن هناك معنى للعتاب على الاتيان بصيغة التثنية والامر بايثار الواو العاطف (٧٥) •

---

(٧٢) انظر : الاحكام للآمدى جـ١ ص ٩٣ ، التقرير والتحبير جـ٢ ص ٤٢ .
(٧٣) انظر : المرجعين السابقين ص ٩٤ ، فواتح الرحموت جـ١ ص ٢٣٢ .
(٧٤) انظر : صحيح مسلم جـ٦ ص ١٥٩ ــ ١٦٠ .
(٧٥) انظر : الاحكام للآمدى جـ٦ ص ٩٣ ، فواتح الرحموت جـ١ ص ٢٣٢ .

الجواب : ويمكن الرد على هذا الدليل : بأن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم ينكر على الخطيب لان الواو للترتيب ، بل لان الخطيب ترك الادب مع الله لقلة معرفته به ، لان فى الافراد بالذكر تعظيما ليس فى القران مثله • فالرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قصد افراد ذكر الله تعالى أولا مبالغة فى تعظيمه كما جاء فى الحديث الشريف قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما » (٧٦) • كما أن فى الافراد اشتمال لفظة « الله » وكذا افراده ــ عليه السلام ــ بلفظ الرسول يشتمل على التعظيم (٧٧) •

كما أنه لا ترتيب بين المعصيتين لان معصية الله معصية لرسوله وبالعكس ، فلا انفكاك لاحداهما على الاخرى حتى يتصور فيهما الترتيب (٧٨) •

غير أن صاحب مسلم الثبوت ، يجيز التقدم عقلا بين معصية الله ورسوله • ولكن شارح مسلم الثبوت صاحب فواتح الرحموت يقول . لا يتصور التقدم الا باعتبار أن معصية الله ممنوعة بالذات ومعصية الرسول لاجل كونها معصية لله (٧٩) •

وقد يقول قائل : ان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ جمع بينهما فى الضمير كما جمع الخطيب ، وذلك فى الحديث المتقدم : « لا يؤمن أحدكم .... مما سواهما » •

فما الفرق وما الجواب ؟ •

---

(٧٦) انظر : صحيح البخارى جـ١ ص ١٠ ــ ١١ ، ١٢ باب الايمان بلفظ « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله ... » .
(٧٧) انظر : الاحكام للآمدى جـ١ ص ٩٤ ــ ٩٥ ، التقرير والتحبير جـ٢ ص ٤٣ .
(٧٨) انظر : حاشية السيد الشريف على شرح العضد جـ١ ص ١٩٢ .
(٧٩) انظر مسلم الثبوت وشرحه فواتح الرحموت جـ١ ص ٢٣٢ .

الجواب : يمكن الاجابة على هذا التساؤل وبيان الفرق بما يلى :-

١ ـ ان منصب الخطيب حقير قابل للزلل ، فاذا نطق بهذه العبارة ـ عصاهما ـ قد يتوهم فيه لنقصه أنه انما جمع بينهما فى الضمير لانه أهمل الفصل بينهما فى الضمير والفرق ، فلذلك امتنع لما فيه ايهام التسوية ، ومنصب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى غاية الجلالة والبعد عن الوهم والتوهم ، فلا يقع بسبب جمعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ايهام التسوية (٨٠) .

٢ ـ ان كلام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ جملة واحدة ، وتقدم الظاهر من الجملة الواحدة يبعد استعمال الظاهر موضع الضمير ، بل الضمير هو الحسن . وكلام الخطيب جملتان احداهما مدح والاخرى ذم ، فلذلك حسن منه استعمال الظواهر مكان المضمرات (٨١) .

٣ ـ ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثنى الضمير فى قوله : « مما سواهما » لانه ليس خطبة وعظ ، وانما هو تعليم حكم فكلما قل لفظه كان أقرب الى حفظه . بخلاف خطبة الوعظ فانه ليس المراد الحفظ وانما يراد الاتعاظ (٨٢) .

د ـ ما روى أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال للشاعر (٨٣) الذى قال : « كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا » « لو قدمت الاسلام على الشيب لاجزتك » .

---

(٨٠) هذا الجواب ذكره القرافى فى كتابه : شرح تنقيح الفصول ص٩٩-١٠٠ ونسبه الى الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وذكره الاسنوى فى كتابه : نهاية السول على المنهاج للبيضاوى جـ١ ص٢٩٨ بتعبير : قلنا :

(٨١) انظر : المرجعين السابقين الا أن القرافى نسبه الى بعض الفضلاء والاسنوى الى نفسه .

(٨٢) انظر : المحصول للرازى جـ١ ص ٥١٣ تحقيق طه جابر فياض .

(٨٣) الشاعر هو سحيم عبد بنى الحسحاس الشاعر الاسلامى المتوفى مقتولا فى زمن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ أى قبل سنة (٣٥هـ) انظر : فوات الوفيات جـ١ ص٣١٣ .

وجه الدلالة : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ من أهل الفصاحة والبيان وقد فهم الترتيب من الواو .

الجواب : ويرد على هذا بأن سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لم يفهم من قوله هذا الترتيب ، بل قوله هذا مبنى على قصد التعظيم بتقديم ذكر الاعظم لا على قصد الترتيب (٨٤) .

هـ ـ أنكر الصحابة على ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ تقديمه العمرة على الحج بقوله تعالى : « وأتموا الحج والعمرة لله » (٨٥) . وقالوا له : لم تأمرنا بالعمرة قبل الحج ؟ .

وجه الدلالة : أن الصحابة كانوا أهل لسان ، وقد فهموا الترتيب من الاية المذكورة والتى تقدم الحج على العمرة ، من أجل ذلك أنكروا على ابن عباس تقديمه العمرة الحج .

الجواب : ويجاب عن هذا بأن انكار الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لم يكن بسبب أن الواو للترتيب ، بل لان الواو عندهم للاعم من تقديم العمرة أو تقديم الحج ، أى للجمع المطلق . فكون ابن عباس يعين تقديم العمرة على الحج يعد هذا تحكما ، وعلى ذلك فلم يكن مستند انكارهم لأمره بتقديم العمرة على الحج كون الاية ، مقتضية لترتيب العمرة بعد الحج ، بل لانها مقتضية للجمع المطلق ، وأمره بالترتيب مخالف لمقتضى الاية ، كيف وان فهمهم لترتيب العمرة على الحج من الاية معارض بما فهمه ابن عباس وهو ترجمان القرآن ؟ (٨٦) .

٢ ـ من الحكم : فانه لو قال الزوج لزوجه غير المدخول بها « أنت طالق وطالق وطالق » وقعت طلقة واحدة ،

---

(٨٤) انظر : الاحكام للآمدى جـ١ ص٩٣ ، ٩٥ .

(٨٥) الآية رقم ١٩٦ من سورة البقرة .

(٨٦) انظر : الاحكام للآمدى جـ١ ص ٩٣ ، ٩٥ ، مسلم الثبوت وشرحه فواتح الرحموت جـ١ ص٢٣٢ .

وجه الدلالة : أن الواو لو كانت للجمع المطلق لوقعت الثلاث، كما في قوله : « أنت طالق ثلاثا » (٨٧) ، فهذا دليل على أن الواو للترتيب، لانها بانت بالطلقة الاولى فلم تبق محلا للثانية والثالثة ، أما العبارة الثانية فلا ترتيب فيها ولذا لحقها الثلاث دفعة واحدة ، ولولا أن الواو للترتيب لما كان بينهما فرق (٨٨) .

الجواب : ويجاب عن هذا الدليل بجوابين :

أحدهما : أن الحكم ممنوع على أصل من يعتقد أن الواو للجمع المطلق ، أى ممنوع أن تقع واحدة بل يقع الثلاث . وبهذا قال أحمد بن حنبل ، وبعض أصحاب مالك ، والليث بن سعد ، وربيعة بن أبى ليلى . وقد نقل عن الشافعى ما يدل عليه فى القديم (٨٩) .

ثانيهما : أن قول الزوج لزوجه ، وطالق معطوف على الانشاء، فيكون انشاء آخر . ومعلوم أن الانشاءات تقع معانيها عقب التلفظ بها مباشرة لان معانيها مقارنة للتلفظ بها ، فالحكم يثبت عقب التلفظ من غير تراخ . فلما قال لها : أنت طالق بانت منه عقب التلفظ أى عقب نطقه بحرف القاف ، فلما قال : وطالق لم تكن محلا لهذا الطلاق ولا للطلاق الثالث من باب أولى ، حيث بانت بالطلقة الاولى ـ كما قلنا ـ لعدم العدة ، فيلغو الباقى . وعلى ذلك فعدم وقوع الطلقة الثانية والثالثة لعدم المحل لا لكون الواو دالة على الترتيب كما زعم . وهذا بخلاف قوله : أنت طالق ثلاثا ، لان قوله : ثلاثا تفسير لطالق وليس انشاء لطلاق آخر (٩٠) .

---

(٨٧) انظر : الاحكام للآمدى جـ١ ص ٩٤ .

(٨٨) انظر : شرح العضد على مختصر ابن الحاجب جـ١ ص١٩٢ .

(٨٩) انظر : الاحكام للآمدى جـ١ ص٩٥ ، حاشية السيد الشريف الجرجانى على شرح العضد جـ١ ص ١٩٢ نقلا عن المرجع السابق .

(٩٠) انظر : التقرير والتحبير جـ٢ ص٤١ ، تيسير التحرير لبادشاه جـ٢ ص٦٦ ، محاضرات فى أصول الفقه الحنفية أ.د محمود شوكت العدوى ص ١٢ .

يقول الامدى فى كتابه الاحكام وان سلم ذلك ـ أى وقوع طلقة واحدة فقط ـ فالوجه فى تخريجه أن يقال : اذا قال لها : أنت طالق ثلاثا ، فالاخير تفسير للاول والكلام يعتبر بجملته ، بخلاف قوله : أنت طالق وطالق وطالق (٩١) .

٣ ـ من المعنى : الترتيب فى اللفظ يستدعى سببا والترتيب فى الوجود صالح له فوجب الحمل عليه .

الجواب : ويجاب عن هذا : بأنه ممنوع لأنه منقوض بقول القائل : رأيت محمدا ، رأيت عليا . فان هناك اتفاقا على صحة هذا مع تقدم رؤية على على رؤية محمد فى الواقع . فتقدم أحد الاسمين فى الذكر لا يستدعى تقديمه فى نفس الامر اجماعا . كما أنه يجوز أن يكون سبب التقديم فى الذكر لزيادة حبه له ، واهتمامه بالاخبار عنه ، أو لانه قصد الاخبار عنه لا غير ثم تجدد له قصد الاخبار عن الاخر عند اخباره عن الاول (٩٢) .

ومما يدل على تقدم ما بعد الواو عما قبلها فى الوجود قوله تعالى : (وكذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك) (٩٣) . وعلى فرض تسليمنا بأن الترتيب اللفظى للترتيب الوجودى فغير محل النزاع ، لان النزاع فى أن المذكور بعد الواو بالنسبة الى ما قبلها لا فى مطلق الترتيب اللفظى (٩٤) .

---

(٩١) انظر : الاحكام للآمدى جـ١ ص٩٥ ، حاشية السيد الجرجانى على شرح العضد جـ١ ص١٩٢ نقلا عن المرجع السابق .

(٩٢) انظر الاحكام للآمدى جـ١ ص٩٤ ـ ٩٦ ، التقرير والتحبير جـ٢ ص٤٢ ٤٣ .

(٩٣) الآية ٣ رقم من سورة الشورى .

(٩٤) انظر : التقرير والتحبير جـ٢ ص٤٣ .

ثالثا : الرأى الثالث وما يمكن أن يستدل له :

لم أعثر لهذا الرأى ـ القائل بأن الواو للمعية والمقارنة ـ على أدلة ، ويمكن أن يستدل له : بأن الواو للجمع والاصل فى الجمع المعية والمقارنة وعلى ذلك فالواو فى غير المعية والمقارنة مجاز .

المناقشة : ويناقش هذا الدليل بما ذكرناه فى أدلة الرأى الاول من أن قول القائل : سيان قيامك وقعودك ، لا يصح فيه المقارنة : لان قيام الواحد وقعوده معا أى فى آن واحد مستحيل وجودهما ، وبناء على ذلك تكون الواو لمطلق الجمع ، لان الاصل فى الاطلاق الحقيقة ، وليس هناك دليل على أن ذلك معدول عن الاصل ـ كما تقدم .

تنبيه : نسب هذا الرأى والقائل : ان الواو للمعية والمقارنة المالكية بناء على قولهم بوجوب الفورية (٩٥) فى الوضوء ، فأخذ من هذا القول بأن الواو للمقارنة عندهم .

ولكننى أقول : ان هذ النسبة خاطئة (٩٦) ، فلم يقل المالكية بذلك ، ولكنه مقول عليهم أما وجوب الفورية فى الوضوء فليس مبنيا على أن الواو للمقارنة ، والمعية . بل مبنى على أدلة أخرى كما وجدت

---

(٩٥) ويعبر عنها بـ « الموالاة » يقول ابن عبد السلام : التعبير بالموالاة أسد ، لكونها تقتضى الفورية فيما بين الاعضاء خاصة من غير تعرض للعضو الاول ، أما لفظ « الفور » فيقتضى وجوب تقديم الوضوء اول الوقت .

انظر : مواهب الجليل جـ١ ص٢٢٣ ط أولى السعادة بمصر ١٣٢٨هـ .

(٩٦) وقد نسب خطأ الى الشافعية انهم قائلون : ان الواو للترتيب وذلك بناء على قولهم : ان الترتيب فى الوضوء واجب . وقد بينت فيما تقدم ـ وجه تخطئة هذه النسبة .

وأود التنويه هنا بأن الترتيب فى الوضوء واجب عند الحنابلة أيضا كالشافعية ، وهذا ليس مبنيا على أن الواو للترتيب عندهم ، بل مبناه أمر آخر ، وهو : أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ادخل فى آية الوضوء ممسوحا ـ الرأس ـ بين مغسولين ـ الايدى والارجل ـ والعرب لا تقطع النظير عن نظيره الا لفائدة ، الفائدة ههنا الترتيب ، كما أن الآية سيقت =

ذلك مسطرا فى كتبهم ، فالمشهور عند المالكية أن الفورية ، واجبة مع الذكر والقدرة ساقطة مع العجز والنسيان (٩٧) .

ومما يدل على الوجوب :

أولا : آية الوضوء ، والاستدلال بها للوجوب من ثلاثة أوجه :

١ ـ قوله تعالى : (اذا قمتم) (٩٨) فانه شرط لغوى ، والشروط اللغوية اسباب ، والاصل : ترتيب جملة المسبب على السبب من غير تأخير .

٢ ـ قوله تعالى : (فاغسلوا) الفاء للتعقيب ، فيجب تعقيب المجوع للشرط وهو المطلوب .

٣ ـ قوله تعالى : (فاغسلوا) صيغة أمر ، والامر للفور (٩٩) .

ثانيا : أنه ـ عليه السلام ـ توضأ مرة فى فور واحد ، وقال : (هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به) (١٠٠) .

وجه الدلالة : أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفى القبول عند انتفاء الفورية ، فدل ذلك على وجوب الفورية فى الوضوء .

= لبيان الواجب ، ولهذا لم يذكر فيها شيئا من السنن ، ولانه متى اقتضى اللفظ الترتيب كان مأمورا به ، والامر يقتضى الوجوب ، ولان كل من حكى وضوء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حكاه مرتبا وهو مفسر لما فى كتاب الله تعالى ، وتوضأ مرتبا وقال : « هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به » أى بمثله .

انظر : المغنى مع الشرح الكبير جـ١ ص١٢٥ ـ ١٢٦ ط المنار ١٣٤٦هـ .

(٩٧) انظر : المدونة للامام مالك جـ١ ص١٥ ط السعادة ١٣٢٣هـ .

(٩٨) جزء من الآية رقم ٦ من سورة المائدة .

(٩٩) ليعلم أن هناك خلافا بين الاصوليين فى الامر المجرد عن القرائن : هل يدل على الفور أو على التراخى ؟ أو لا يدل على فور ولا على تراخ ، أو هو مشترك بينهما ؟ بكل قيل .

انظر : البرهان لامام الحرمين جـ١ ص٢٣١ ـ ٢٣٢ فقرة ١٤٣ ، التمهيد للاسنوى ص٨٠ .

(١٠٠) هذا الحديث مروى عن ابن عمرو بن كعب أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ توضأ على الولاء وقال : « هذا وضوء ... به » وقد روى =

ثم ههنا نظر : وهو أنه — عليه السلام — هل أشار اليه من حيث هو ، مرة مرة وهو الصحيح ،وأشار اليه بماوقع فيه من القيود ، فتجب الموالاة — الفورية — ويرد هذا الاحتمال : انه لو كانت الاشارة لقيوده لا ندرج فى ذلك الماء المخصوص والفاعل والمكان والزمان وغيره وهو خلاف الاجماع حيث لم يقل أحد بذلك (١٠١) ويمكن القول : ان الاشارة الى المجموع ، فان خرج شيء بالاجماع بقى الحديث متناولا لصورة النزاع (١٠٢) .

الرأى الراجح :

من خلال ما قدمناه من أدلة ، وما دار حولها من مناقشات وأجوبة يتبين لنا بجلاء ووضوح رجحان الرأى الاول ، وذلك لقوة أدلته وسلامتها من المعارض ورده على ما استدل به غيره . كما أن العرف يقضى بعدم اشتراط الترتيب أو المقارنة فيمن قال لعبده : اذا ذهبت السوق فاشتر لحما وخبزا وعنبا وزيتونا . فلا يلزم العبد أن يشترى اللحم أولا ، ولا يعد بشراء الزيتون أولا عاصيا (١٠٣) ، كما لا يلزم أن يشترى الجميع معا . فالمقصود هنا : الحصول على ما طلبه السيد جملة .

وكذلك فان الواقع والنصوص يؤيدان الرأى الأول ويتفقان

= بلفظ « هذا افترضه الله عليكم » بعد أن توضأ مرة . يقول ابن أبى حاتم سألت أبازرعة عن هذا الحديث فقال : حديث واه منكر ضعيف ، ونفاه مرة : لا أصل له وامتنع من قراءته ، ورواه الدار قطنى فى غرائب مالك قال الحافظ : ولم يروه مالك قط .

انظر : نيل الاوطار للشوكانى جا ص ١٤٢ ، ١٧٤ .

(١٠١) انظر : نيل الاوطار للشوكانى جا ص١٧٤ .

(١٠٢) انظر : الزخيرة للقرافى جا ص٢٦٧ ط كلية الشريعة ١٣٨١هـ ، مواهب الجليل شرح مختصر خليل للحطاب جا ص ٢٢٤ .

(١٠٣) انظر : التلويح جا ص٩٩ .

بعه . عملا بقول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة ، فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ﴾ (١٠٤) .

فهذه الاية لا دلالة فيها على أنه يجب السعى عقيب النداء بلا تراخ ، كما ان الاية لو افادت الترتيب للزم من ذلك تقديم السعى لصلاة الجمعة على ترك البيع ، لان السعى ذكر اولا ، وهذا باطل ، لانه لا يجوز تقديم ترك البيع على السعى بالاجماع (١٠٥) .

يقول الآمدى بعد ذكره لادلة الرأيين — الاول والثانى : ﴿ وبالجملة فالكلام فى هذه المسألة متجاذب وان كان الاول — القائل بأن الواو لمطلق الجمع — هو الارجح فى النفس (١٠٦) .

زعم ورده

لماذا نسب الى الامام أبى حنيفة بأنه قائل : أن الواو للترتيب ؟ ولماذا نسب الى الصاحبين بانهما قائلان : ان الواو للمقارنة والمعية ؟ وما وجه الصواب فى ذلك ؟

لقد نسب اليهم ذلك بناء على رأيهم فيمن قال لامرأته غير المدخول بها : ان خرجت من المنزل فانت طالق وطالق وطالق . فكان رأى الامام فى هذا الفرع الفقهى أن تقع طلقة واحدة عند تحقق الشرط . وكان رأى الصاحبين أن يقع الثلاث . ففهم من رأى الامام هذا أن الواو للترتيب عنده ، لانها لو لم تكن للترتيب عنده لوقعت الطلقات الثلاث عند وجود الشرط ، ولكنها وقعت الاولى ولم تبق محلا للثانية والثالثة .

وهذا فهم خاطىء ، لان الامام أبا حنيفة لم يقل بوقوع طلقة واحدة فى هذا الفرع بناء على أن الواو للترتيب عنده ، بل هذا مبنى

---

(١٠٤) الآية رقم ٩ من سورة الجمعة .

(١٠٥) انظر : التلويح جا ص ٩٩ — ١٠٠ .

(١٠٦) انظر : الاحكام للآمدى جا ص ٩٦ .

على أمر آخر ، وهو أن تعليق الاجوبة بالشرط عند الامام انما يكون على سبيل التعاقب ، فموجب الكلام عنده الافتراق • وبيان ذلك :

أن قوله : ان خرجت من المنزل فأنت طالق ، جملة كاملة مستقلة عما بعدها ، فيحصل بها التعليق بالشرط ، وقوله بعد ذلك : وطالق ، جملة ناقصة مفتقرة فى الافادة الى الاولى ، فيكون تعليقها واقعا بعد تعليق الاولى ، وتعليق الثالثة بعدهما ولما تعلقت الاجوبة بالشرط على سبيل التعاقب كانت فى الوقوع كذلك لان المعلق بالشرط كالمنجز عند وجود الشرط ، وفى المنجز تبين بالاولى ، فلا تصادف الثانية والثالثة محلا ، فلا تقع الا واحدة • ومما يدل على ان المقصود الافتراق لا الاجتماع : انه لو كان يقصد الاجتماع لقال : ان دخلت الدار فانت طالق ثلاثا ، فبقوله : طالق وطالق وطالق ، علم أنه قصد الافتراق ، فيقع كل واحد منها على حدة ، فيقع الاول ، ولم يبق محل للثانى والثالث • هذا بالنسبة للامام أبى حنيفه ، أما بالنسبة للصاحبين (أبى يوسف ومحمد) فقد فهم من رأيهما فى الفرع السابق أن الواو للمقارنه ، ووجهه : أن الواو لو لم تكن للمقارنة ، لبانت بالاولى عند وجود الشرط ، ولم تقع الثلاث •

وهذا فهم خاطىء أيضا ، حيث ان وقوع الثلاث عندهما ـ الصاحبين ـ ليس مبنيا على كون الواو للمقارنة ، بل هو مبنى على أمر آخر ، وهو أيهما فى التعليق •

وبيان ذلك : أن موجب الكلام عندهما الاجتماع لا الافتراق كما قال أبو حنيفة ، وبذلك يقع الكل دفعة واحدة ، لان زمان وقوع الطلاق هو زمان تحقق الشرط ، والتفريق غير حاصل فى هذا ، انما التفريق فى أزمنة التعلق فقط ، لا فى أمنة التطليق ، فالترتيب فى التكلم لا فى صيرورة اللفظ تطليقا • وتحقيق ذلك : أن عطف الجملة الناقصة على الجملة الكاملة يوجب تقدير ما فى الكاملة تكميلا للناقصة حتى لو قال : هذه طالق ثلاثا وهذه ، وجب تثليث طلاق الثانية أيضا : أما لو قال : هذه طالق ثلاثا وهذه طالق ، فتطلق الثانية واحدة فقط ، لانها جملة كاملة

غير مفتقرة الى الاولى • وفى الفرع المذكور سابقا ـ ان خرجت من المنزل فأنت طالق وطالق وطالق ـ الشرط مذكور فى الكاملة ـ ان خرجت من المنزل ـ فيجب تقديره فى كل من الاخيرتين ، فيصير بمنزله ما اذا قال لغير المدخول بها : ان خرجت من المنزل فأنت طالق • ان خرجت من المنزل فأنت طالق • ان خرجت من المنزل فأنت طالق • فعند الخروج يقع الثلاث ، فكذا ههنا ، لان المقدر كالملفوظ • فالعبرة عندهما : بحال الوقوع اجتماعا وافتراقا لا بحال التعليق ، وليس هنا ما يوجب تفريق أزمنة الوقوع •

ومما يدل على أن المقصود الاجتماع : أنه لو لم يكن كذلك لما علق الثلاث كله بشرط واحد ، فاذا علقه جملة وقع جملة (١٠٧) •

فائدة :

ليعلم أن الزوج لو كرر الشرط بأن قال : ان خرجت من المنزل فأنت طالق ، ان خرجت من المنزل فأنت طالق ، ان خرجت من المنزل فأنت طالق ، فتحقق الشرط بأن خرجت من المنزل فانها تطلق ثلاثا ، وذلك لان الكل تعلق بالشرط بلا واسطة • وهذا بالاتفاق ، وأيضا لو قدم الجزاء ، بأن قال : أنت طالق وطالق وطالق ان خرجت من المنزل ، فعند حصول الشرط ـ الخروج من المنزل ـ تطلق ثلاثا بالاتفاق أيضا • وذلك لان الكل يتعلق بالشرط دفعة واحدة ، لان الشرط مغير واذا وجد فى آخر الكلام ما يغير أوله يتوقف الاول على الاخر ، وهنا لا يكون هناك تعاقب فى التعليق ، وعلى هذا لا يلزم التعاقب فى الوقوع ، بل الكل يقع دفعة واحدة (١٠٨) •

الرأى الراجح :

والرأى الراجح هو وقوع الطلقات الثلاث وهو قول الصاحبين ،

---

(١٠٧) انظر : كشف الاسرار للنسفى وحواشيه ص١٩١ ـ ١٩٢ ، التلويح جا ص١٠٠ ، التقرير والتحبير ج٢ ص٤٠ ، تسهيل الوصول للمحلاوى ص ٩٥ •

(١٠٨) انظر : المراجع السابقة •

ودليل الرجحان : أن عطف الجملة الناقصة على الجملة الكاملة يوجب تقدير ما فى الجملة الكاملة للناقصة لتكمل الناقصة . ولذلك فلو قال الزوج مشيرا الى زوجيه : هذه طالق ثلاثا وجب تطليق الثانية ثلاثا ، بخلاف ما لو قال : هذه طالق ثلاثا وهذه طالق ، ففى هذه الحالة تطلق الثانية واحدة فقط ، لان الزوج هنا عطف جملة كاملة على جملة كاملة ، فلم يفد العطف سوى مجرد الثبوت . وبناء على ذلك يجب تقدير الشرط - ان خرجت من المنزل - فى الطلقتين الاخيرتين (وطالق وطالق) لان المقدر كالملفوظ ، فصار بمنزلة ما لو كرر الشرط ثلاث مرات ، فعند الخروج تقع الثلاث أما لو عطف بالفاء أو ثم (١٠٩) ، فهذا صريح فى تفريق أزمنة الوقوع ، وعلى ذلك فلا يقع الا طلقة واحدة فقط (١١٠) .

المطلب الثالث

فى المواضع التى تنفرد فيها الواو عن بقية حروف العطف

تنفرد الواو عن غيرها من حروف العطف بعدة أمور منها :

أولا : أن هذا الحرف هو المختص بعطف اسم على آخر حين لا يكتفى العامل فى أداء معناه بالمعطوف عليه ، أى عطف ما لا يستغنى عنه . ومثال ذلك : تقاتل محمد وعلى ، وتشارك أحمد ومحمود واختصم خالد وسعيد ، فالمقاتلة والمشاركة والاختصام لا تكون من طرف واحد . وكل ما كان من باب المفاعلة .

ثانيا : أن معطوفه يحتمل المعانى الثلاثة :

١ - المصاحبة .

٢ - السابقية .

---

(١٠٩) لان الفاء للوصل والتعقيب ، وثم للترتيب مع التراخى كما سيأتى .

(١١٠) انظر : شرح الكوكبية جـ١ ص ٣٢٣ - ٣٢٥ .

٣ - اللاحقية (١١١) .

ثالثا : أن هذا الحرف يعطف العام على الخاص . ومثال ذلك قوله تعالى : (رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات) (١١٢) . وقوله تعالى : (ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) (١١٣) .

رابعا : أنه يقترن بـ (اما) كما فى قوله تعالى : (انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا) (١١٤) .

خامسا : أنه يقترن بـ (لكن) ومثال ذلك قوله تعالى : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) (١١٥) .

سادسا : يعطف العقد على النيف (١١٦) مثل : (أحد وأربعون) .

سابعا : يعطف الشىء على مرادفه . ومثال ذلك قوله تعالى : (انما أشكو بثى (١١٧) وحزنى الى الله) (١١٨) وقوله أيضا : (أولئك عليهم صلوات (١١٩) من ربهم ورحمة (١٢٠) .

---

(١١١) انظر : رصف المبانى ص٤١١ .

(١١٢) الآية رقم ٢٨ من سورة نوح .

(١١٣) الآية رقم ٤١ من سورة ابراهيم .

(١١٤) الآية رقم ٣ من سورة الانسان .

(١١٥) الآية رقم ٤٠ من سورة الاحزاب .

(١١٦) النيف : الزيادة ، يقال ، عشر ونيف ، وكل ما زاد على العقد فنيف الى أن يبلغ العقد الثانى والنيف : الفضل والاحسان .
انظر : مختار الصحاح ص٦٨٧ ، ترتيب القاموس جـ٤ ص٤٦٨ .

(١١٧) البث : هو أشد الحزن . انظر : مختار الصحاح ص ٤٠ ، ترتيب القاموس جـ١ ص ٢١٣ .

(١١٨) الآية رقم ٨٦ من سورة يوسف .

(١١٩) الصلوات : جمع صلاة ، وهى فى اللغة الدعاء ، والصلاة من الله - سبحانه وتعالى - الرحمة .
انظر : مختار الصحاح ص ٣٦٨ .

(١٢٠) الآية رقم ١٥٧ من سورة البقرة .

المطلب الرابع

فى المعانى الاخرى للواو

تحدثنا ـ فيما تقدم ـ عن الواو باعتبارها عاطفة ، أى أنها تفيد مطلق الجمع ، ولما كانت للواو معان اخرى اردت ان أعرج على بعض هذه المعانى ، فاقول وبالله التوفيق : ان من معانيها :

١ ـ أنها حرف ابتداء ، ومعنى ذلك أن تكون لابتداء الكلام ، وهى ما تسمى بواو الاستئناف ، وهى فى هذا الموقع لا يرتبط مابعدها بما قبلها لا فى المعنى ولا فى المشاركة فى الاعراب .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : (هل تعلم له سميا ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا) (١٢١) وقوله تعالى : (ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومن الانعام حمولة وفرشا) (١٢٢) .

٢ ـ أن تكون للحال (١٢٣) ، ومعنى ذلك أن تجىء بعدها جملة تكون فى موضع الحال من ذى حال ، وتقدر تارة بـ (اذ) نحو قوله تعالى (يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم) (١٢٤) أى اذ طائفة قد أهمتهم ، فقدرت الواو هنا بـ (اذ) الظرفية ، وتقدر بـ (اذ) اذا لم يكن بعدها ضمير فى الجملة ـ الواقعة حالا .

وتارة تقدر بـ (فى حال) وذلك حيث يكون فى الجملة ضمير يعود على ذى حال : نحو قوله تعالى : (ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا) (١٢٥) . أى فى حال تذليل قطوفها .

---

(١٢١) الآية رقم ٦٥، ٦٦ من سورة مريم .
(١٢٢) الآية رقم ١٤١ ، ١٤٢ من سورة الانعام .
(١٢٣) انظر : رصف المبانى ص ٤١٦ ـ ٤١٨ ، كشف الاسرار للبخارى على أصول البزدوى جـ٢ ص ١٢٢ ، تيسير التحرير جـ٢ ص٧٣ ، المخصص لابن سيده جـ١٤ ص٤٨ ط أولى الاميرية ١٣٢٠ هـ .
(١٢٤) الآية رقم ١٥٤ من سورة آل عمران .
(١٢٥) الآية رقم ١٤ من سورة الانسان .

٣ ـ أن تكون للقسم عوضا عن باء الالصاق فى قولك : أقسمت بالله ، فالاصل (الباء) لانها حرف جر فى القسم وغيره ، ويجوز اظهار فعل القسم معها وحذفه ، أما غيرها من الحروف ـ ومنها الواو ـ فلا يجوز ذلك . فالواو حرف يجر الظاهر دون المضمر ومن أمثلة ذلك : (والله لتصلين) وقوله تعالى : (والقرآن الحكيم) (١٢٦) وقوله : (والشمس وضحاها) (١٢٧) وكثير غير ذلك فى القرآن الكريم) (١٢٨) .

٤ ـ أن تكون بمعنى (مع) وهى ما تسمى بـ (واو) المفعول معه . ومثال ذلك : سرت والنيل ، أى مع النيل ، ومن أمثلة ذلك أيضا . استوى الماء والخشبة ، وجاء البرد والطيالسة ، أى : ساوى الماء الخشبة فاستوت معه ، وساق البرد الطيالسة فكانت معه . فلهذا انتصب ما بعد الواو مفعولا معه (١٢٩) .

٥ ـ أن تكون بمعنى (الباء) ومثال ذلك : أنت أعلم ومالك ، والاصل بمالك .

٦ ـ أن تكون (واو) ضمير الذكور وهى هنا اسم ، ومثال ذلك قوله تعالى : (قد أفلح المؤمنون) (١٣٠) .

٧ ـ أن تكون ناصبة للفعل المضارع الواقع بعدها باضمار (أن) مُتخلص للاستقبال ، ومثال ذلك قول الشاعر (١٣١) .

ولبس عباءة وتقرعينى ... أحب الى من لبس الشفوف

أى وأن تقر عينى ، أى وقر عينى

---

(١٢٦) الآية رقم ٢ من سورة يس .
(١٢٧) الآية رقم ١ من سورة الشمس .
(١٢٨) انظر : رصف المبانى ص٤٢٠ .
(١٢٩) انظر : رصف المبانى ص ٤٢٠ ـ ٤٢١ ، المخصص لابن سيده جـ١٤ ص ٤٧ .
(١٣٠) الآية رقم ١ من سورة المؤمنون .
(١٣١) قائلة هذا البيت ميسون بنت بحدل الكلبية . انظر : ابن عقيل جـ٤ ص٩٠ ، الاشمونى ص٥٧١ ، رصف المبانى ص٤٢٣ .

٨ ــ أن تكون زائدة ، أى دخولها كخروجها ،وقد مثلوا لذلك بقوله تعالى : (اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت) (١٣٢) • قالوا ان المعنى أذنت ، لانه جواب (اذا) وكذلك قوله تعالى : (فلما أسلما وتله للجبين) (١٣٣) قالوا : ان المعنى تله للجبين • وقوله تعالى (حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها) (١٣٤) قالوا : ان المعنى فتحت أبوابها، بدليل الاية الاخرى وهى قوله تعالى : (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها) (١٣٥) فان الواو هنا لم تذكر، وليعلم أن القائل بزيادة (الواو) فى هذه الايات مذهب كوفى (١٣٦)،

أما البصريون فانهم يخرجون ذلك بقولهم :ان الواو فى الايتين الاولى والثانية عاطفة وليست زائدة ، أما الجواب فانه مقدر وتقديره أبلغ من ذكره • فتقديره فى الاولى : (اذا السماء انشقت) ظهر الحق أو تبين الامر ونحو ذلك • وتقديره فى الثانية : (فلما أسلما) متنا عليه، أو صرفناه عن ذلك أو نحو ذلك •

أما الواو فى الاية الثالثة : (وفتحت) فهى واو الحال ، لان الكرامة للواصلين لدخولها أن يجدوا أبوابها مفتحة لهم (١٣٧) حيث يحصل لهم السرور بذلك ، والدليل على أن أبواب الجنة مفتحة قوله تعالى : (جنات عدن مفتحة لهم الابواب) (١٣٨) فلذلك جيء بالواو كأنه قال : حتى اذا جاءوها وقد فتحت أبوابها ، وجواب (اذا) محذوف والمقصود من الحذف أنه يدل على أنه بلغ فى الكمال الى حيث لا يمكن ذكره • ويمكن أن يكون الجواب هو قوله تعالى : (وقال لهم

---

(١٣٢) الآية رقم ١ ، ٢ من سورة الانشقاق .
(١٣٣) الآية رقم ١٠٣ من سورة الصافات .
(١٣٤) الآية رقم ٧٣ من سورة الزمر .
(١٣٥) الآية رقم ٧١ من سورة الزمر .
(١٣٦) انظر : رصف المبانى ص ٤٢٤ ــ ٤٢٥ .
(١٣٧) انظر : رصف المبانى ص ٤٢٥ ــ ٤٢٦ .
(١٣٨) الآية رقم ٥٠ من سورة ص .

خزنتها سلام عليكم) بغير الواو • أو يقدر الجواب فادخلوها خالدين دخلوها ، فحذف دخلوها لدلالة الكلام عليه •

أما بالنسبة للآية الاولى : (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها) • فلم تذكر الواو لان أبواب جهنم لا تفتح الا عند دخول أهلها ، فهى مغلقة قبل ذلك (١٣٩) • وذلك مثل أبواب السجن فهى مغلقة لا تفتح الا عند ادخال من يراد سجنه • أما الجنة فهى كدار الضيافة فانها تكون مفتحة قبل مجيء الضيوف •

المطلب الخامس

فى الاثار الفقهية المترتبة على معانى الواو

ان هناك فروعا فقهية مترتبة على معانى الواو ، منها :

١ ــ اذا قال رجل لامرأته : ان كلمت محمدا وعليا فأنت طالق ، فكلمتهما ، سواء أكلمتهما معا أم كلمت عليا ثم كلمت محمدا فانها تطلق ، حيث لا يشترط معنى المقارنة أو الترتيب •

وأشار فى التتمة الى وجه فى اشتراط تقديم المذكور أولا تفريعا على أن الواو تقتضى الترتيب • كذا ذكره الرافعى فى باب تعليق الطلاق (١٤٠) •

٢ ــ اذا زوج فضولى رجلا أختين فى عقد واحد ، فبلغ ذلك الزوج ، فقال ، أجزت هذه وهذه بطل زواجهما ، كما لو قال : أجزتهما ــ

---

(١٣٩) انظر : الجامع الاحكام القرآن للقرطبى جـ١٥ ص٢٨٥ ط دار الكتب والوثائق القومية ١٣٨٦هـ ــ ١٩٦٧م وتفسير الخازن وبهامشه تفسير البغوى جـ٦ ص٧٢ ط الاستقامة بالقاهرة ١٣٨١هـ ، تفسير الفخر الرازى جـ٧ ص١٩٣ ط اولى الخيرية بالجمالية ١٣٠٨هـ . وكشف الاسرار للنسفى جـ١ ص١٩٥ .
(١٤٠) انظر : التمهيد للاسنوى ص٥٥ .

بالتثنية أى بدون ذكر الواو — للجمع بين الاختين (١٤١) ، وان قال الزوج : أجزت نكاح هذه وبعد مضى زمن قال : وأجزت نكاح الأخرى ، بطل نكاح الثانية • قد يقال : ان معنى هذا أن الواو أفادت المقارنة .

ويجاب عن هذا : بأنه اذا كان فى آخر الكلام ما يغير أوله — كالشرط والاستثناء — يتوقف أوله على آخره ، فاذا ماقرن الاجازة ، فانه يكون قد أجاز النكاح فى صدر الكلام ونفاه فى آخره ، اكونه جمعا بين الاختين ، فيصير آخره فى حق أوله بمنزلة الشرط والاستثناء ، وكأنه قال : أجزتهما ، لا لان الواو أفادت المقارنة (١٤٢) .

٣ — اذا قال السيد فى مرض موته : أعتقت زيد وعمرا وطلق الثلث عنهما ، فان قلنا : ان الواو للترتيب ، تعين الاول .

٤ — لو قال : خذ هذا وديعة يوما وعارية يوما ، فهو وديعة فى اليوم الاول ، وعارية فى اليوم الثانى ، ثم لا يعود وديعة أبدا ، بخلاف ما لو قال : وديعة يوما وغير وديعة يوما ، فانه يكون وديعة أبدا ، كذا نقله الرافعى عن الرويانى ، وقال أعنى الرويانى : ان الاصحاب اتفقوا عليه .

٥ — لو أوصى بداره وسيارته ، فلو كانت الواو للترتيب ، وكانت داره مقدار ثلث ماله ، اقتصرت الوصية عليها ، ولو كانت الواو لمطلق الجمع ، وجب الثلث من الدار والسيارة معا (١٤٣) .

٦ — لو قال المولى لعبده : أدِ الى ألفا وأنت حر ، وقال الامام للحربى : انزل وأنت آمن ، ففى هذين المثالين الواو واو الحال ويتعذر أن تكون للعطف لكمال الانقطاع ، لان الاولى فعلية انشائية والثانية اسمية خبرية ،فانتفى الاتصال الذى لابد منه بينهما فى

(١٤١) لقوله تعالى : « حرمت عليكم أمهاتكم .... وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف » آية رقم ٢٣ من سورة النساء .
(١٤٢) انظر : كشف الاسرار للنسفى جا ص١٩٣ — ١٩٤ .
(١٤٣) انظر : التمهيد ص ٥٥ — ٥٦ .

العطف وللفهم أى لعدم العطف فان المفهوم تعلق الحرية والامان بالاداء والنزول لا مجرد الاخبار بهما (١٤٤) ، فقد جعل الحرية حال الاداء ، فلا تسبق الاداء لان الصفة لاتسبق الموصوف ، وكذلك الحربى لا يأمن الا بالنزول ، لان الواو — كما قلنا — للحال (١٤٥) .

٧ — لو قال قائل : احمل هذا ولك درهم ، فالظاهر هنا : أنه قصد المعاوضة ، لانها غلبها أصلية ، حيث ان الاجارة بيع المنافع بعوض ، فتحمل الواو بدلالة المعاوضة على الباء ، فكأنه قال : احملـه بدرهم (١٤٦) .

٨ — فى قوله تعالى : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق) (١٤٧) الواو هنا فى قوله : (وانه لفسق) لفظ مشترك بين أن تكون عاطفة وبين أن تكون للحال . ولذلك . فان الحنفية قالوا : انها للعطف ، أى عطف الخبر على الانشاء ، ولذلك قالوا : بحرمة الذبيحة التى لم يذكر عليها اسم الله ، ويكون قوله (وانه لفسق) من قبيل عطف الجمل ، فهو اخبار من الله تعالى بأن عدم التسمية فسق (١٤٨) .

وقال الشافعية : ان الواو هنا حالية ، لان البلاغة تقتضى ذلك ، حيث ان قوله : (وانه لفسق) جملة خبرية وما قبلها جملة انشائية ، وعلى ذلك فيكون بينهما تباين ، كما أنه لا يجوز أن تكون جملة : (وانه لفسق) جوابا لمكان الواو . فتعين أن تكون الواو حالية . فتقيد النهى بحل كون الذبح فسقا ، والفسق فى الذبيحة مفسر فى كتاب الله تعالى بما أهل لغير الله به . وعن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما :

(١٤٤) انظر : التقرير والتحبير جـ٢ ص ٤٤ — ٤٥ ، كشف الاسرار للنسفى جا ص ١٩٥ .
(١٤٥) انظر : كشف الاسرار للنسفى جـ٢ ص١٩٥ .
(١٤٦) انظر : التقرير والتحبير جـ٢ ص ٤٥ ، كشف الاسرار للنسفى جا ص ١٩٧ .
(١٤٧) الآية رقم ١٢١ من سورة الانعام .
(١٤٨) انظر : الهداية جـ٤ ص٦٣ .

أن المراد بما لم يذكر اسم الله عليه الميتة . وعلى ذلك فالتسمية غير واجبة عند الشافعية ، فلو تركها عمدا أو سهوا حل (١٤٩) .

أما عند الحنفية : لو ترك الذابح التسمية عمدا فالذبيحه لا تؤكل ، وإن تركها ناسيا أكل (١٥٠) .

وما أراه راجحا هو مذهب الحنفية ، لان الاية للنهى ، والنهى للتحريم ، وما ذكر من أن الواو فى قوله تعالى : (وانه لفسق) متعينة للحالية ، منتقض بقوله تعالى : (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم) فانها عاطفة لا محالة فان كانت الواو التى ادعى أنها حالية صحيحة على ما قال امتنع عطف هذه عليها ، فان عطفت على الطيبة ورد عليه ما أورد على غيره ، وان لم تكن الواو حالية بطل ما قال من أصله . (١١٥) والله أعلم .

وبعد :

فنكتفى بهذا القدر من الكلام عن معنى (الواو) وننتقل الى الذى سوف ينشر بمشيئة الله تعالى فى العدد القادم باذن الله تعالى .

---

(١٤٩) انظر : مغنى المحتاج جـ٤ ص٢٧٣ .

(١٥٠) انظر : الهداية جـ٤ ص٦٣ ، حاشية ابن عابدين جـ٦ ص٢٩٩ .

(١٥١) انظر : تفسير ابن كثير جـ٢ ص١٦٩ .